يحدث؟ وجه أمل كان يبتسم لها بين وجوههم، ولا بد انها قد كبرت وذبلت قليلا، امل.. سترشدهم، انها تعرف البيت جيدا، .. ستفرح بها.. ستعانقها وستذرف دموعا.. وسيحدث عتاب رقيق، هي لا تطيق نبرة العتب في اصوات البشر.. الساعات تدق.. وهم لم يطرقوا الباب بعد.. سيرتجف قلبها حين تراهم، النساء والرجال على حد سواء.. سيذكرونها بالزمن كثيراً، .. هي التي لا تريد أن تستسلم للتذكر... لن تقاوم... ستحكي لهم عنه.. ستكون رقيقة مع أمل التي تحبها.. ستقول لها عاودي المجيء.. كلا، ربما كان ذلك لا يعجبه،... لكنه سيحترم رغبتها .. هو يحبها، اكثر من الجميع وأفضل من الجميع، ولا يريد ان يقسو.. كم سيكون الأمر رائعاً لو اجتمع بهم،.. «أمل، ليلة العام الجديد، تحطيم ساعتي.. كان لا يستطيع المجيء... وكنت لا أطيق وحدتي.. اصاب بالجنون.. العالم ليس سيئاً بالقدر الذي يخيفني..».

الساعات تدق، عاصرتها أعواماً، حفظت أصواتها، فما الذي منحتها اياه هذه الآلات الضاجّة؟ عادت الى غرفتها.. سترتدي ثوبا ذا الوان بهيجة، وتنسق شعرها بأسلوب مرح وتكون مضيفة حقيقية، منذ زمن لم تعد تحفل بهذا الأمر.. سيدهش لتحولها،... فكت أزرار ثوبها المنزلي وانتزعت الدبابيس من شعرها المعقوص الى وراء فتهدل على كتفيها مرناً.. حيوياً شديد الكثافة، أنزلت الثوب عن جسدها، فدقت الساعات مرة أخرى، استفزها ذلك، تحركت وتعثرت، استندت الى خزانة الثياب، دقت ساعة أخرى، ركضت حافية نحو الساعة الضاجة، انتزعتها من مكانها ورمتها نحو الارض فتهشمت، عادت وارتدت الثوب ومررت في شعرها فرشاة ناعمة، وانعشت نفسها بعطر خفيف، عادت الساعات الاخرى تدق، ساعات متأخرة قليلاً، ابتهجت لوجهها المنتشي بالتحول، ابتسمت، وواصلت الساعات ضجيجها، أسرعت نحوها.. انتزعتها جميعها وألقتها بلا رحمة فوق صلابة الأرض.. وهرعت نحو ارجاء البيت كلها تحمل ساعات اخرى وتكومها حطاماً فوق حطام.

كان ثوبها الرقيق يمنح قوامها هيأة شجرة الحور، وكانت يداها بأصابعهما الرقيقة تشبه اغصان تلك الشجرة المشيقة المتوحدة،.. نبضت الساعات واضطربت وانفلتت نوابض بعضها، ثم كفت بعد قليل اذ تدحرجت ولم تهشمها. كفت تماما عن النبض وسكتت، وتسلل اليها عبر النافذة صوت طائر يشدو، وحفيف اشجار تستلم لاجتياح الريح، وسمعت نبض قلبها واضحا ومتسارعا عندما أتاها في جلال الهدوء وقع خطاه يجتاز الممرات اليها.. وازداد خفق قلبها، اذ سمعت وقع خطى تتبعه.. ومن النافذة رأت وجوهاً كان اقربها وجه أمل.. وجوه لوحتها الشمس والرياح، وغزتها التجاعيد واكتمل نضجها، وسمعت صوته يناديها، فأسرعت خفيفة الخطا نحو الباب.

بغداد

السندباد في الألزاس

محمد علي الرباوي

إلى أبي في أرض الغربة

ها أنتَ تُوَدِّعُ وَجْدَةَ .. تَتْرُكُها تَتَثاءبُ عند طلوعِ الغبش الساقطِ من تَنْهيدَةِ إِيسْلي التائه .. تَتْرُكُ بَوّابَتها خَلْفَك ، يَتَفَجَّرُ ظِلُّكَ قُدّامَك .. يَركلُ طَنْجَةَ بحَوافِره ، يلحس في رَفَّة عَيْنٍ أحجارَ **الْأَلْزَاس** ، وَزادُكَ في الرحلةِ عضلاتُك ... إنّا صَدَّرْناك مع اللّيمونِ وَقُلْنا نَحْنُ كَسَبْنا **الأَلْزاسَ** وما يحزن هذا الألزاس .

- . -

هذا الوطن الضائع ، والغارق في عرصات الجوع وفي مَزْرَعَةِ العطش آلشّاردِ يَسْتَوْرِدُ لَحْمَ الضَّأن العالي ، يَرْفُض إيمانَكَ ، يَرْفُضُ حتى عضلاتك ، يَدْفَعُها ثَمَناً للحم المُسْتَوْرَد .

يسرق أَنْفي الأَفْطَسُ من هذا اللحم المستورد رائِحَةً أَشْعُرُ أَنّ جَداولها نبعت من جَسَدي المتهالك.. أَسْمَعُها في الليل تَقُصُّ عليَّ غريبَ القَصَصِ المكتوبة -يا أَبَتي- بشقائق كانت تُزْهِرُ في عضلاتك.

- . -

لُغَتي ، هل تَعْرِفُها يا أَبَتي ، هل تَتَكَلَّمها في **الألزاس** مع **الألزاس** وهل تَسْمعها في الطرقات وفي أوراش الخوف ؟

- . -

إنّي ألمح قافلةً عائدةً تَتَوَسَّطُها أنت على صَهْوَةِ ناقَتِكَ الواسعةِ العينين سُعالُكَ يَنْشُرُ جَدْوَلَهُ في بعض شوارع **وجده**

آهٍ .. هل تحلم يا أبتي بالعوده ؟

هل تحلم يا أبتي بالعوده ؟

وجدة (المغرب)

هوامش :

الألزاس :Alsace إقليم فرنسي يوجد في شرق فرنسا عاصمته Strasbourg

وجدة : مدينة مغربية توجد شرق المغرب قريبة من الحدود الجزائرية المغربية

ايسلي: Isly -نهر صغير ، قريب من وجدة ، وقعت فيه معركة بين الجيش المغربي والجيش الفرنسي ، انهزم المغرب في هذه المعركة وهذا الانهزام كان سببا في احتلال فرنسا المغرب وفرض الحماية عليه . ومعركة «وادي إيسلي» سببها ان الجيش المغربي بُعث به من فاس لنجدة الامير عبد القادر الجزائري .

طنجة : مدينة مغربية معروفة على البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي . منها يُبحر معظم المهاجرين المغاربة إلى فرنسا .